العزل

يستحق الرجلُ أن يسمى بطلا من أبطال التاريخ إذا كان له «دور تاريخى» يقضيه ويتَّسِمُ بملامحه ودواعيه . .

وآيةُ انقضاءِ ذلك الدور أن يبلغَ البطلُ من الأعمال المقدورة له قِمَّتها العليا التى لا قمةَ وراءها ، وأنه يعدو هذا الدور فإذا هو مفتئتٌ على الآخرين ممن لهم حقٌّ مثلُ حقِّهِ فى أدوار التاريخ ، يعدوه إلى أعمال يغنى فيها الآخرون مثل غَنائه ، وتدخل فى باب من السعى والدراية غير بابه . .

وقد بلغ خالد فى معركة اليرموك قِمتَه التى لا مُرْتَقَى بعدها لراقٍ : قمع فتنة الردة ، وضرب دولةَ الأكاسرة ضربتَه الدامِغة ، وحَّد قيادة المسلمين فى حرب الرومان ، فصدهم إلى ما وراء حدودهم ، وخَلَتْ ميادين الشام بعدها من أعمال يصح أن تُسمى بالأعمال الخالدية ، فهى بين حصار أو مراوغةٍ أو تسليم . وإنما يُراد خالدٌ لتحطيم قوى الأعداءِ التى تَعِزُّ على التحطيم .

وإن يكنْ من عمل «خالدىٍّ» فى ميادين الشام بعد معركة

اليرموك فهو عملُه فى مَرْج الروم ، ثم عملُه فى قِنَّسرين[١].

فى مرج الروم كان هو وأبو عبيدةَ ينازلهما قائدان رومانيان هما جونس وتوذر كما سماه خالد ، فتسلل توذر تحت الليل ليفاجئ الجيشَ العربى عند دمشق بقيادة يزيد بن أبى سفيان ويأخذَ جيوش المسلمين على غِرَّة متفرقين . فاتفق خالدٌ وأبو عبيدةَ على تعقُّبه ومفاجأته من خلفِه قبل أن يفاجئ يزيد بن أبى سفيان . فأوقعاه فى الفخ الذى نصبه ، ولم يرجع خالد إلى أبى عبيدة إلا وتوذر مقتولٌ وجيشه مبدَّد ، كما قال :

نحنُ قَتَلْنَا توذرًا وشوذَرا وقبلَه ما قد قتلْنا حيدرا
نحن أزرْنَا الغَيْضَةَ الأُكَيْدِرَا[٢]

وفى قِنَّسرين حصر خالد الرومان المحتمين بحصونها ، فطاولوه وأبرموه[٣] . فقال لهم مُحْنَقاً : « لو كنتم فى السحاب لحملَنا الله إليكم أو لأنزلَكم إلينا » ، وأبى أن يصالحهم بعد ذلك إلا على تخريب المدينة ودكِّ حصونها . فخُتمتْ بذلك ضَرباتُه الخالديات.

---

(١) قنسرين وقنسرون — كورة بالشام — « إعجام الأعلام . ص ٢٣٢ » .

(٢) الأكيدر : هو الأكيدر بن عبد الملك صاحب (دومة الجندل) وكان خالد قد أمر بضرب عنقه . والغيضة : الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف ، والمراد بلزارته الغيضة أنه قتله .

(٣) أبرموه : جعلوه يبرم بهم ويتضايق .

ولكنه كان قبل مرج الروم وقنّسرين قد وَفَّى « دوره التاريخى » أكمل وفاء ، فلو فاته هذان العملان لما نقَص من مجده شيءٌ ولا تغير مجرى الحوادث فى أعقاب هزيمة الرومان .

* * *

أما سائرُ الميادين فقد تولاَّها قوادٌ آخرون ففُتحت بقيةُ فارس ، وفتحت مصرُ وشَطْرٌ من إفريقية الشمالية ، وكُتِبَت بذلك « أدوارٌ تاريخية » أخرى للمثنّى بن حارثةَ وسعد بن أبى وقاص والنعمان ابن مُقرِّن وعمرو بن العاص ، ورجال غيرهم يساوونهم أو يقلون عنهم فى المقدرة ولا يقلون عنهم فى المقصد والنية ؛ وكل زيادة فى عمل خالد لا تضيف إليه مجدًا فوق مجده ، وتنقُص ولا ريب من عمل هؤلاء ، وتحرم الإسلام أيدياً كثيرة تعملُ له وتدفع عنه . وليس هو بمستغن عن تلك الأيدى الكثيرة بيد واحدة ؛ بالغاً ما بلغ بها الرُّجحان والاستعلاء[1] .

قلنا فى أول هذا الفصل إن انقضاء « الدور التاريخى » لبطل من الأبطال له آياتٌ تدل عليه . ومنها أن يعدو دورَه[2] إلى أعمال يُغنى فيها الآخرون مثل غَنائه وتدخل فى باب من السعى والدراية

(١) ليس هو : أى الإسلام .
(٢) يعدو دوره : يتجاوزه .

غير بابه ، ونزيد على هذا أن غَناء الآخرين فى هذا خيرًا من غنائه لهو أولى أن يدلَّ على انقضاء دوره وانتقاله إلى من هو أحقُّ به وأَخْلَق .

وفى ميدان الشام – بعد معركة اليرموك – كان أبو عبيدةَ بن الجراح أحقَّ بالموقف الجديد من خالد بن الوليد . لأنه موقفُ التسليم والمسالمة واستلالِ الحقود[1] وضَمْدِ الجراح وتقريب القلوب ، وفى جميع أولئك يتسع المجال لهوادةِ أبى عبيدة ويضيقْ بضربات خالد . فأبو عبيدةَ يسرع إلى المسالمة إذا فُتِحت له أبْوابَها . ولا يُبطئْ عن الحرب إذا وَجَبت عليه أسبابُها ، فإن كانت بالمسالمة جَدْوَى فذاك ، وإن كان يوم الضربات الخالديات فهى لديه يَرْمى بها فى مراميها . وإنما يكون العملُ الأَولُ هنا لمن يسالم ويتقبل التسليم ، ويكون العمل التابع له لمن يرفع سَوْطَ النِّقمة على الذين يَلجُّونَ فى العداء كأهل قِنَّسرين فلا يُسَلِّمون إلا بتخريب الديار ودكِّ الحصون .

ولا جرم ، كان أبناءُ الأمصار يتسامعون بحلم أبى عبيدة فيُقبِلون على التسليم إليه ويؤثِرون خطابهم له على خطابهم لغيره ،

(١) استلال الحقود : إزالتها .

وكان خالد يرضى بهذا حيناً ويسخَط منه حيناً ، كما سخِط عند تسليم دمشق ووساطة أبى عبيدة فى العفو عن أهلها . فإنه كان يحسبهم[1] مغلوبين عنوةً فيعاقَبون بالسَّبْىِ والقصاص ولا يُبْسطُ لهم مِهادُ العذر[2] والموادعة ، ولولا أنه لا يغدِر بعهد عاهدهم به أبو عبيدةَ لما كان لهم من شرطٍ عنده غير شرطِه على أهل قنسرين ..

فصواب التاريخ وصوابُ ابن الخطاب قد تلاقيا هاهنا بإسنادِ الأمر إلى أبى عبيدة بن الجراح فى أوانه المقدور ، وإن كان تلاقياً لم يجْرِ على قصد مرسوم . .

* * *

تولى الفاروق الخلافة بعد الصِّدِّيق عليهما الرضوان.

ورأىُ الفاروق فى أبى عبيدة بن الجراح معروف . فقد كان لا يعدل به أحدًا من الصحابة الأولين ، وقد همَّ بترشيحه للخلافة بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام ، وقال وهو يجود بنفسه : إنه لو كان حيًّا لعهد إليه ولم يلجأ إلى مجلس الشورى الذى وكَّل إليه أمرُ انتخاب الخليفة بعده .

---

(١) يحسبهم : يعدهم ويعتبرهم .

(٢) المهاد : الفراش ، والأرض المنخفضة : المستوية ، وفى العبارة استعارة .

وتحدث عمرو بن العاص مرة إلى الفاروق فى رئاسة الجيوش الموجَّهة إلى الشام فأجابه فى مقال صريح : « . . إنه ليس على أبى عبيدةَ أميرٌ ، ولأبو عبيدة عندنا أفضلُ منزلةً منك وأقدمُ سابقة[1] ، والنبى عليه الصلاة والسلام قال فيه : أبو عبيدة أمين هذه الأمة » .

وكما عُرِف رأىُ الفاروق فى أبى عبيدة عُرِف كذلك رأيهُ فى سابقة الإسلام والغزو على الإجمال . فإنه خالف الصِّدِّيق فى التسوية بين أنصباء[2] المسلمين كافةً يوم أخذ الصديقُ فى توزيع الأرزاق والأنفال[3] ، وجعل للرجل نصيباً يختلف باختلاف سابقتِه فى الإسلام والجهاد ، لأنه « لا يجعلُ منْ قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه ، ولا يسوِّى بين منْ هاجر الهجرتين ، وصلَّى إلى القِبلتين ، وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف[4] »

فإقامة أبى عبيدةَ على ولاية الشام وقيادةِ جيوشِها حادثٌ لا غرابة فيه من الفاروق ولا يُنتظر منه غيرُه ، وبخاصة حين تكون إمارةُ

---

(١) سابقة : يقال (له فى الأمر سابقة) إذا سبق الناس إليه .

(٢) أنصباء : جمع نصيب .

(٣) الأنفال : جمع نفل (بفتح النون والفاء) وهو الغنيمة فى الحرب .

(٤) لا يسوى بين إلخ : الهجرتان هما الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة ، والقبلتان هما بيت المقدس والكعبة ، وكان اتجاه القبلة فى السنوات الأولى إلى بيت المقدس ، ثم نزل توجيه قرآنى بالاتجاه إلى المسجد الحرام .

خالدِ بن الوليد بغير تأْميرٍ من الخليفة الأول ، إنما هى اتفاقٌ على تقسيم القيادة بين الأُمراء يوماً بعد يوم .

* * *

وبهذه المثابة تكون ولايةُ أبى عبيدة سُنةً عُمرية معروفة ، ولا يبلغُ منها أن تكونَ «قضيةً» بين الفاروق وخالد على الصورة التى هوَّل بها بعض المؤرخين ، واتخذوا منها مِحْورًا للجدال ، والتنقيبِ عن الأسباب والأقوال . .

وإذا نحن تجاوزْنا النظر إلى الموضوع من جانب هذه السُّنَّة العمرية ، فولاية أبى عبيدة كانت فى اعتقادنا أصلح الولايات للشام فى تلك المرحلة التى انتهت إليها الحربُ بين المسلمين والروم .

فما نظن أحداً تفوتُه حاجةُ الشام فى مثل تلك المرحلة التى انتهتْ فيها بطْشَةُ الحرب الكبرى ، وبدأتْ فيها ممهِّداتُ السِّلم والحكم والمصالحة . وهذه مهمةُ والٍ يُحْسِنُ التوجيه إليها فى مناسباتها ؛ وليست مهمة قائد عسكرى يُجْرى الأمر على سُنةِ السطوة العسكرية ، ويكونَ عملُه الأكبرُ تحطيم قوى الأعداء فى ضربة طاحنة ثم يلاحقُهم متى شاء بالمطاردة والتضييق والإحراج ؛ كما كان دأبُ خالد فى بطشاته التى لا تبقى بعدها بقية لغير الإجهاز[1]

(١) الإجهاز : من قولهم (أجهز على الجريح) إذا أسرع فى قتله وتمم عليه .

وإذ تكونُ هذه هى المهمةَ المطلوبةَ بعد معركة اليرموك ، فلا خلاف فى أىِّ الرجلين أَوْلَى بالولاية عند ذاك : أبو عبيدة بن الجراح أو خالد بن الوليد ، سواءٌ أكان الخليفةُ على رأى الفاروق أم كان على غير هذا الرأى فى أمين الأُمة وفى سوابق الإسلام والجهاد.

* * *

ونمى إلى الفاروق بعد ذلك أن خالدًا وعِياضاً أغارا على بلاد الروم ورجعا منها بغنائم وأسلاب ، وأن الأَشعثَ بن قيس قصد خالدًا ومدحه فأَجازه[1] بعشرة آلاف درهم ، وأجاز آخرين من « ذوى البأْسِ وذوى الشرف وذوى اللسان » .

فعظُم هذا البذلُ على الفاروق وكتب إلى أبى عبيدة : « أن يُقيم خالدًا ويعقِله[2] بعمامته وينزع عنه قلنسوتَه حتى يُعْلِمهم من أين أجاز الأَشعث ، هل من مال الله أَم من ماله أم من إصابةِ أصابها[3]؟ فإن زعم أنه من إصابة أصابها فقد أقرَّ بالخيانة ، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف » ، وأمر أبا عبيدة أن يعزلَه على كلِّ

---

(١) أجازه : كافأه .

(٢) يعقله : يوثقه ويربطه .

(٣) من إصابة أصابها : من مال حصل عليه عن طريق الغارة على بعض بلاد الروم .

حال . وأن يضمَّ إليه عملَه – وكان يومئذ يُولَّى أمور قنسرين[1] – وأن يقاسمه ماله نصفين . .

فصدع أبو عبيدة بالأمر ، وجمع الناس وجلس على المنبر ، ودعا بخالد فسأله : يا خالد . أمن مالك أجزتَ عشرة آلافٍ أم من إصابةٍ ؟ فلم يجب . وأبو عبيدة يعيد السؤال مرةً بعد مرة . فوثب إليه بلالٌ مؤذِّنُ النبي عليه الصلاة والسلام وقال له : إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ، ثم تناول عمامتَه ونَفَضَها وعقلَه بها وخالدٌ لا يمنعُه ، وسأله : ما تقول ؟ أمن مالك أم من إصابة ؟ فقال : لا ، بل من مالى . فأطلقه وعمَّمه بيده وهو يقول : نسمعُ ونطيعُ لولاتِنا . ونفخِّم ونخدُم موالِينا »

ثم قوسم مالَه حتى بقيتْ نعلاه ، فقال أبو عبيدة : إن هذا لا يصلح إلا بهذا . فقال خالد : أجل . ما أنا بالذى أعصِى أمير المؤمنين ، فاصنعْ ما بدا لك . .

ولما علم خالد بعزله ذهب إلى قِنسرين فخطب أهل عمله وودَّعهم ، ثم ذهب إلى حمص فخطب أهلَها وودعهم ، وقال فى بعض خطبه : « إن أمير المؤمنين استعملنى على الشام حتى إذا كانتْ

(١) يعنى خالد ، فقد كان على قنسرين تحت إمرة أبى عبيدة والى حمص .

بثَنِيَّةً وعسلا[١] عزلنى وآثر بها غيرى » . فنهض له رجل من السامعين فقال : صبرًا أيها الأمير ، فإنها الفِتنةُ . فما تردد خالدٌ أنْ قال : أمَّا وابنُ الخطاب حيٌّ فَلاَ »[٢] .

ثم قصد إلى المدينة فلقى الفاروق فقال له : « لقد شكوتُك إلى المسلمين . وبالله إنك فى أمرى غيرُ مُجْمِل يا عمرُ[٣] . . » فسأله الفاروق : « من أين هذا الثراء » ؟ . . قال : من الأنفال والسُّهمان[٤] . ما زاد على الستين ألفاً فَلَكَ » فزادت عشرون ألفاً فضمها إلى بيت المال . ثم قال له : يا خالد : « والله إنك علىَّ لكريم ، وإنك إلىَّ لحبيب ، ولن تعاتبنى بعدُ على شىء » وأرسل إلى الأمصار يأمر الولاةَ أن يعلنوا فيها باسمه : « إنى لم أعزلْ خالدًا عن سُخْطة ولا عن خيانة ، ولكنَّ الناس فُتِنوا به فخشِيتُ أن يُوكَّلوا إليه ويُبْتَلَوْا . وألا يكونوا بعرض فتنة »[٥] .

* * *

(١) البثنية : حنطة منسوبة إلى موضع بالشام ، وقيل هى الزبدة ، وفى أساس البلاغة « وسميت المرأة بثينة ، كما سميت زبيدة » .

(٢) ارجع إلى تفصيل القول فى هذا الموضوع فى كتاب (عبقرية عمر – طبعة الوزارة ص ٦١) .

(٣) غير مجمل : لم تراع الاعتدال والمجاملة .

(٤) السهمان : جمع سهم وهو النصيب .

(٥) فى رواية الطبرى « فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ، وألا يكونوا بعرض فتنة » أى ألا يتعرضوا للفتنة ، وهى رواية أفضل .

تلك قصةُ خالد والفاروق . .

وهى قصة تؤلم وتؤسف ، إلا أن الألم والأسف فيها من فعل الضرورة التى لا محيد عنها ، وليسا من فعل خالد ولا فعل الفاروق .

ومن الحق للرجلين العظيمين أن نفهم هذه القصةَ على حقيقتها المبرَّأةِ من الخلط والجهالة . لأن فهمها على حقيقتها موصولٌ بتقدير الحالة كلِّها ، وموصول بتقدير الخليفة العادل وتقدير القائد الكبير . .

وأبعدُ شيء عن هذه الحقيقة أن يكونَ عزلُ خالد لضغينةٍ فى نفس عمر ، أو لتلك المنافسة التى تستحكم بين الأشباه والنظراء ، أو لغير سبب من تلك الأسباب التى كان عمرُ يحاسِب بها جميع القادة والولاة . .

وأسخف من هذه الظنون أن يسبق إلى الوهم كما سبق إلى وهم بعض المؤرخين أن عمر قد عزل خالدًا لبغضاء قديمة مرجِعُها إلى الصراعِ بينهما فى أيام الصِّبا ، وأن خالداً صرع عمر وكسر ساقَه فلم يزلْ بقيةَ حياتِه واجدًا عليه[1] . .

وأجهلُ الناس بخلائق عمر من يجمحُ به الوهمُ إلى ظنٍّ من

(١) واجداً عليه : غاضباً عليه .

هذه الظنون . فليس بين رجال التاريخ جميعاً من هو أصعب تخطئةً من عمر بن الخطاب ، لأنه ليس بينهم جميعاً من هو أشدُّ حساباً لنفسه ومراجعةً لِنيَّاتِه منه ، وأغلبُ الظن عندنا أنه لو أحسَّ فى نفسِه نية دَخَل[1] أو ثأْر قديم لكان أثرُ هذا الإحساس أن يؤجل عزل خالد ولا يعجِّل به مخافةً من خُدعة نفسِه وتضليل هواه . . .

فالحق أن حساب عمر لخالد لم يخالفْ قطُّ حسابه لجميع وُلاتِه . فكذلك صنَع بعمرو بن العاص وسعد بن أبى وقاص ، وكذلك صنع بكل وال أحْصى مالَه فظهرت فيه الزيادة . وقد عزل زياد بن أبيه ثم قال إنه عزله «لأنه كره أن يحمل على الناس فضل عقلِه[2] ، وكان يحسب أنه قادرٌ على أن يسوق العرب بعصاه لو أنه من قريش . ولقد تبين بعدُ أنه من قريش[3] .

* * *

وكانت سياسةُ عمر مع الولاة جميعاً أن يراجعوه فى الأموال ، وبذلك أشار على أبى بكر فوافاه الحسابُ من كلِّ وال إلا خالدًا

---

(١) الدخل : الحقد والعداوة .

(٢) فضل عقله : الفضل : الزيادة ، يعنى رجحان عقله وتميزه عن سائر الناس .

(٣) وذلك أنه كان مجهول الأب ، وفى عهد معاوية شهد ناس من المسلمين أنه ابن أبى سفيان ، فاستلحقه معاوية ، أى اعترف به أخاً له . وارجع إلى القصة فى «عبقرية عمر» ص ٨٣ .

أبى وأغلظَ له فى الجواب حيث قال : « إمَّا أن تدعنى وعملى وإلا فشأنُك وعملُك » .

فلما بويع عمرُ كتب إلى خالد أن يراجعه فى حساب المال وألا يعطِى شاةً ولا بعيرًا إلا بأمره ، فأحاله إلى ما جرى به العملُ قبله . فلم يُطِقها عمرُ وقال : ما صدقْتُ الله إن كنتُ أشرتُ على أبى بكر بأمر فلم أُنفِذْهُ »

هذا إلى الخلاف بين سُنن[1] عمر فى سياسة الناس وتصريف الشئون وسُنن خالد التى طُبع عليها . فعمر كان يحب الأناة قبل القتلِ والقتال ، ومن ثَمَّ كان إنكارُه لقتل بنى جذيمة ومقتل مالك ابن نويرة ، وعفوُه عن أسرى السَّوادِ خلافاً لما صنع بهم خالد فى معركة أُلَّيْس أو نهرِ الدم كما سُميت بعد ذاك . وقد حرم عمر « قيس بن سليط » أن يقود جيشاً هو كفء لقيادته قائلا له : « لولا أنك رجلٌ عجِلٌ فى الحرب لولَّيْتُك هذا الجيشَ . والحربُ لا يصلح لها إلا الرجل المكِيث »[2] .

وإذا كان عمر قد أوجس من عقْل زياد بن أبيه وهو مجهولُ النسب ، فالفتنةُ باسم خالدٍ أعظمُ وأخطر . إنه لعظيمُ النَّزْعة إلى

(١) السنن : جمع سنة وهى الطريقة .
(٢) المكيث : الرزين المتأنى .

الاستقلال ، وإنه لمن بنى مخزوم وهم أقوى قبائل قريش منفردين ، وله صِهْرٌ فى سائر القبائل والبطون ، ولأبنائه أخوالٌ فى بنى تميم وبنى حنيفة ، ولشهرتِهِ سِحرٌ فى نفوس الناس يفعل الأعاجيب ، وللزهو مكانٌ من طباع خالد يُحْسب حسابُه ولا ينساه الخليفةُ المسئول عن عواقب الأمور فى دولة الإسلام . فقبل أن يقهر خالد دولةَ الأكاسرة ودولةَ القياصرة رجع إلى المدينة يوماً فإذا هو يغرزُ فى عمامته السهام ويدخل المسجد بدرع القتال . . فبعد غَلَبَتِه على الأكاسرة والقياصرة وشيوع ذكره فى الأمصار ماذا يجرى لو وَهَن الحكمُ يوماً بعد « ابن الخطاب » ؟ . .

أمَّا و « ابنُ الخطاب حيٌّ فلا » ، كما قال خالد . ولكن ابن الخطاب لا يدوم ، والعواقب لا تنكشف ، وعزلُ خالدٍ نقصٌ يعوِّضُه قادةٌ آخرون من حقهم أن يعملوا كما عمل ، ومن أثرهم أن يثوب الناس إلى العقيدة وحدها فلا يحسبوا أن النصر رهينٌ برجل واحد لا يرتهن بغيره .

* * *

أما الاحتمال الآخر — إن حدث — فالخطرُ فيه عظيم ، والموازنة

بينه وبين كل عاقبة يُعْقِبها عزلُ خالد لا مجال فيها لتردد طويل

وهذا كله فضلا عن مردِّ العزل إلى القسطاس الذرى يُردُّ إليه حسابُ جميع القواد والولاة . ولم يفت ذلك خالدًا بعد هدوء الغضب والمثوبة[١] إلى الرأى ، فقال فى مرض وفاته لأبى الدرداء : « قد كنت وَجَدْتُ عليه[٢] فى نفسى فى أمورٍ لما تدبَّرْتُها فى مرضى هذا وحضرنى من الله حاضرٌ عرفتُ أن عمر كان يريدُ الله بكل ما فعل . كنت وجدت عليه فى نفسى حيث بعثَ إلىَّ من يقاسمُنى مالى حتى أخذ فرد نعل وأخذتُ فرد نعل ، فرأيته فعل ذلك بغيرى من أهل السابقة ومنْ شَهِد بدرًا . وكان يُغلظَ علىَّ وكانت غِلظتُه على غيرى نحوًا من غلظته علىَّ ، وكنت أُدلُّ عليه بقرابة[٣] فرأيته لا يبالى قريباً ولا لَوْم لائم فى غير الله ، فذلك الذى أذهب ما كنتُ أجِدُ عليه ، وكان يكثِّر علىَّ[٤] عنده وما كان ذلك إلا على النظر . . كنت فى حرب ومكايدة ، وكنتُ شاهدًا وكان غائباً فكنتُ أعطِى على ذلك ، فخالفه ذلك من أمرى »

---

(١) المثوبة إلى الرأى : الرجوع إلى الصواب .

(٢) وجدت عليه : غضبت عليه ، من (الموجدة) أى الغضب .

(٣) أدل عليه : أجترئ عليه ، من (الدالة) .

(٤) المراد أنه كان يستكثر ما أعطى وأمنح من مال .

ولقد توفى رحمه الله وهو يجعل وصيتَه وتَرِكتَه وإنفاذَ عهدِه إلى ابن الخطاب . .

* * *

ونحن اليوم ننظرُ إلى القصةِ بعين التاريخ فنرى ـ كما أسلفنا ـ أن الفاروق إنما خَتَم دورًا ختمه القَدرُ وانقضت به الحوادث . فلم يكن بعد القمة التى ارتفع إليها خالد فى ضربته للدولة الرومان مُرْتقىً لراق . ولعل مجده الباذخَ قد كانت تُعْوزُه قمةٌ من نوع غير تلك القمم التى تسنَّم فيها صُعُدًا[1] من غلبته على طليحة ومسيلمة إلى غلبته على القياصرة والأَكاسرة : تلك هى قمة التجمُّل[2] والإخلاد إلى الواجب الأَليم يوم عزله . فهى والله لما يحسبُ له إلى جانب قممه البواذخ ، قمم العظيم الظافر الجسور.. وأين ـ لولا عزلُه ـ كنا نبصرُ بينها قِمةَ العظيم الصابر المطيع .

---

(١) صعداً . (بضم الصاد والعين) يقال هذا النبات ينمو صعداً . أى يزداد طولا .

(٢) التجمل : الظهور بما يجمل .